

الشرقي لخليج العقبة وهي «ضبا» و«مويلح» و«العقبة»، بهدف تأمين طريق الحج البري بين مصر والحجاز. وعلى الرغم من توقف استعمال هذا الطريق بعد شق قناة السويس، في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر، إلا أن هذه المراكز ظلت تحت الإدارة المصرية حتى العام ١٨٩٢، حيث نشبت أول أزمة بشأن سيناء وخليج العقبة. وقد بدأت هذه الأزمة بمحاولة فريدمان للتوطن في بعض مناطق الساحل الشرقي للخليج^(١٤).

وينحدر فريدمان من عائلة يهودية قديمة، حيث ولد في مدينة كونيغسبرغ في المانيا العام ١٨٤٠، وزعم أن احد أجداده كان يتزعم الطائفة اليهودية في برلين، وأعلن اعتناقه المذهب البروتستانتي. غير أن يهوديته بقيت متأصلة في نفسه، فاهتم بمصير اليهود الروس، وقام بدراس مشاكلمهم، محاولاً إيجاد حل لها. وقرأ العديد من الكتب والتقارير عن الحفريات الأثرية في فلسطين، واستهوته مؤلفات ريتشارد بورتون الذي كان قنصلاً بريطانياً في دمشق، وتأثر بكتابين، هما «مناجم الذهب في مدين وخرائب المدن الدينية» و«أرض مدين». وقام بزيارة لمصر لدرس أوضاع منطقة أرض مدين. وأخذ موافقة الحكومة المصرية على مشروعه الاستعماري، ثم نشر كراساً، في ١٨ صفحة، بعنوان «أرض مدين». وكان غرضه من ذلك إرساله الى عدد من السياسيين ورجال الدولة والزعماء اليهود في بريطانيا، والنمسا، والمانيا، وحاول أن يقنع المهاجرين اليهود - في الكراس المذكور - بأن أهل البلاد سيستقبلونهم بالترحاب. وزعم أن سكان العقبة يتحدرون من عشيرة يهودية، وقد احتفظوا ببعض عاداتها، وأن أرض مدين كانت، في الماضي، جزءاً من الدولة اليهودية.

وفي لندن، تعرف فريدمان على اللورد كرومر وكان آنذاك يشغل منصب وزير بلا وزارة والمعتمد البريطاني في القاهرة. وأكد له كرومر أن الحكومة البريطانية لن تقوم بعرقلة مشاريعه، ونصحه بأن يجتمع برئيس الوزارة المصرية آنذاك، رياض باشا، وكرر عليه النصيحة، حين زاره في القاهرة، للمرة الثانية، أواخر العام ١٨٩٠.

ولم يكن رياض باشا يجهل أن فريدمان قد جاء مبعوثاً من قبل كرومر. غير أنه أبلغ الى فريدمان معارضته للاستعمار الأوروبي في بلاده، من حيث المبدأ. وراح فريدمان يحوّر في كلام رئيس الوزارة المصرية؛ فأشاع أنه لم يعترض على الاستيطان اليهودي؛ فهو لم يشجع الفكرة، ولكنه لم يثنه عن عزمه.

وفي آيار (مايو) ١٨٩١، ذهب فريدمان الى لندن، للاتصال بوزارة الخارجية البريطانية وتقديم كراسه الى المسؤولين، مطالباً بأن تمتنع الحكومتان، البريطانية والمصرية، عن وضع العراقيل في وجه مشروعه، وقدم، عملاً بنصيحة كرومر، مذكرة الى رئيس الوزارة، المركزي أوف ساليزبوري، تضمنت تفاصيل المشروع الاستعماري، وذكر أهمية قوة مسلحة قوامها ٣٠٠ رجل؛ فاليهود المسلحون «يفرضون الاحترام على البدو ويحافظون على الأمن والنظام، وهكذا تقوم مستعمرة يهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي»؛ ثم تحدث عن بناء خط سكة حديد يختصر المسافة بين مصر والهند بأربعة، أو خمسة، أيام. لقد كان فريد مان يسعى الى اقامة دولة يهودية على أرض مدين.

وبعد لقاءاته المتعددة، راح فريدمان يجمع المتطوعين والمجندين، ومن بينهم ضابط الماني واثنان برتبة صف ضابط؛ ونظم جماعة من الرواد اليهود الذين تدربوا عسكرياً، وكان معه مجموعة من المهندسين والجغرافيين والكيميائيين، وتلقّى الجميع تدريبات عسكرية في هنغاريا والنمسا؛ ثم قام فريدمان بشراء يخت تجاري أسماه «اسرائيل» حمل على متنه جماعته، بالإضافة الى كميات كبيرة